امفنت
الشبكة الشرق أوسطية
للصحة المجتمعية

العدد 34 | فبراير 2026

نشرة امفنت لأخبار الطوارئ

روح التطوع: ريادة شبابية في قلب الاستجابة الإنسانية

يشكل العمل التطوعي عصب الاستجابة الإنسانية ومنظومات إدارة الطوارئ الناجعة؛ إذ تتسع أنماطه لتشمل المبادرات الفردية العفوية والبرامج المؤسسية المنظمة، وصولا إلى فضاءات المشاركة الرقمية. وفي هذا السياق، يتصدر المتطوعون المشهد عبر استثمار طاقاتهم وخبراتهم المحلية وشبكاتهم الاجتماعية؛ الأمر الذي يرفع كفاءة التدخلات الميدانية ويجذر مقومات الصمود في بنية المجتمعات.

يتكئ العمل التطوعي في إقليم شرق المتوسط على إرث ثقافي واجتماعي متجذر، حيث تتماسك قيم التضامن والتكافل المجتمعي كجزء أصيل من هوية المنطقة، وهو ما أثبتته الاستجابات المجتمعية الفاعلة والمتلاحقة في أوقات الأزمات. وفي هذا العدد الخاص من نشرة الطوارئ الصادرة عن امفنت، نبرز تجارب المتطوعين الشباب في غزة وإسهاماتهم؛ لتظل قصصهم برهانا جليا على أن تآزر المجتمع وريادة الشباب وروح البذل هي الركائز الأبقى للصمود وبواعث الأمل، حتى في أشد الظروف قسوة.

العمل التطوعي في حالات الطوارئ والسياقات الإنسانية

بقلم: د. هيثم بشير، مدير مركز إدارة طوارئ الصحة العامة، امفنت

إتخذت إدارة الطوارئ والكوارث أبعاداً أكثر تعقيداً في الوقت الراهن؛ نتيجة تداخل العوامل الاجتماعية والاقتصادية وتغير بنية المجتمعات، وهو ما يضع الأنظمة الرسمية والجهود الحكومية أمام تحديات تفوق قدراتها المنفردة على تلبية الاحتياجات المتزايدة. ومن هنا، تبرز أهمية العمل التطوعي كعنصر أساسي في مراحل الاستعداد والاستجابة والتعافي، خاصة ضمن المنهجيات التي تضع المجتمع في صدارة استراتيجيات بناء الصمود.

تُشير الخبرات المستخلصة من إدارة الكوارث إلى أن الأفراد غالبا ما يشكلون خط الاستجابة الأول؛ إذ يبادرون لتقديم العون قبل وصول الفرق الرسمية، ويستمر دورهم المساند لما بعد انقضاء العمليات المنظمة. وقد عزز هذا الواقع القناعة بضرورة دمج المتطوعين المحليين ضمن أنظمة إدارة الطوارئ. كما تؤكد الدراسات أن المجتمعات تظهر تضامنا استثنائيا في أوقات الأزمات، حيث تنتظم الجهود الفردية بشكل تلقائي لإنقاذ المنكوبين وتأمين الإيواء وتوزيع الموارد، دعما لجهود التعافي واستعادة الاستقرار.[1]

وفي هذا الإطار، تتبنى إدارة الطوارئ الحديثة بصورة متزايدة نهج المجتمع بأكمله، الرامي إلى إشراك الأفراد والقوى المجتمعية والمؤسسات الأكاديمية والقطاع الخاص في جهود التأهب والاستجابة. ويبرز العمل التطوعي كأداة حيوية لتفعيل هذا التوجه؛ عبر حشد الطاقات المحلية، وتمكين المجتمعات من حماية أمنها الصحي بفاعلية. غير أن تذبذب مستويات المشاركة التطوعية بمرور الوقت يفرض ضرورة إيجاد بيئات تنظيمية داعمة، ومسارات تدريبية مستدامة، وآليات تقدير تضمن استمرارية العطاء والالتزام على المدى البعيد.

تعريف العمل التطوعي في حالات الطوارئ

يعرف العمل التطوعي، بمعناه الواسع، بكونه تلك الجهود التي يبذلها الأفراد طواعية بمحض إرادتهم، سواء بالوقت أو المعرفة أو المهارات، لخدمة المجتمع دون تطلع لمقابل مادي. أما في سياقات الطوارئ والكوارث، فيتسع نطاق هذا العمل ليشمل حزمة من الأنشطة الحيوية؛ بدءا من معاضدة عمليات البحث والإنقاذ، وتعزيز الوعي الصحي، والخدمات اللوجستية، وصولا إلى التواصل بشأن المخاطر، وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي، وتمتين الروابط المجتمعية.

وبينما انحصرت المفاهيم التقليدية للعمل التطوعي غالبا في الأطر المؤسسية الرسمية، كالدفاع المدني والمنظمات الإنسانية، باتت الأدبيات البحثية المعاصرة تولي اهتماما متزايدا للمسارات "غير الرسمية"؛ وهي تلك المبادرات العفوية التي يطلقها الأفراد والمجموعات المجتمعية استجابة للحالات الطارئة خارج الهياكل والأطر التنظيمية المعتادة.

وعلى ضوء ذلك، يبرز تصنيف العمل التطوعي في السياقات الإنسانية وحالات الطوارئ ضمن ثلاثة مسارات رئيسة، تتحدد وفقا لطبيعة أطرها التنظيمية وآليات المشاركة فيها؛ وهي: التطوع الرسمي، وغير الرسمي، والرقمي. حيث يندرج ضمن التطوع الرسمي الأفراد المنخرطون في كيانات مؤسسية قائمة - كجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر والمنظمات غير الحكومية - إذ يعمل هؤلاء وفق هياكل قيادية ومنظومات تدريبية محددة، ويؤدون أدوارا منوطة بهم بدقة إبان الأزمات.

وفيما يخص التطوع غير الرسمي، فهو يشمل الجهود المبذولة خارج الأطر المؤسسية المعتادة؛ حيث تصنفه الدراسات ضمن مسارين رئيسين: "الناشئ" و"الممتد". ويتجلى التطوع الناشئ في المبادرات التلقائية التي يطلقها الأفراد أثناء حالات الطوارئ لتغطية الفجوات في الاحتياجات الأساسية؛ كعمليات الإنقاذ، وتأمين الإيواء، وتوزيع المساعدات الغذائية.

أما التطوع الممتد، فيتمثل في الدور الذي تقوم به مجموعات أو مؤسسات قائمة لا تدخل الاستجابة للطوارئ ضمن نطاق عملها الأساسي، إلا أنها تعمد إلى توسيع أنشطتها إبان الأزمات. ويمتاز هذا النمط بسرعة الاستجابة للاحتياجات الملحة، ما يساهم بفاعلية في تعزيز القدرة الاستيعابية والتعامل مع حالات الطوارئ واسعة النطاق.[1]

ومع تسارع طفرة تقنيات الاتصال، برزت أنماط مستحدثة من العمل التطوعي؛ حيث يقوم المتطوعون الرقميون اليوم بمهام حيوية عن بُعد، تشمل رسم خرائط الأزمات، وتحليل البيانات الضخمة، ورصد منصات التواصل الاجتماعي، والتحقق من دقة المعلومات، إلى جانب تنسيق المساعدات الإنسانية العابرة للحدود. وقد اكتسبت هذه المسارات الرقمية أهمية استراتيجية متزايدة، خاصة في مواجهة الكوارث الكبرى وحالات طوارئ الصحة العامة التي تتطلب استجابة معلوماتية فورية.

الفوائد والتحديات

يوفر العمل التطوعي مزايا استراتيجية متعددة لمنظومة إدارة الطوارئ والاستجابة الإنسانية؛ إذ يضمن استجابة محلية فورية تسهم بفاعلية في الحد من الخسائر البشرية وتخفيف المعاناة في الساعات الأولى التي تسبق وصول الفرق الرسمية. كما تساهم شبكات المتطوعين في رفد الموارد البشرية إبان الأزمات، عبر إسناد العمليات اللوجستية، وتفعيل قنوات التواصل، والمشاركة النوعية في التدخلات الصحية. وفضلا عن ذلك، يمتلك المتطوعون المحليون عمقا اجتماعا وعلاقات وثيقة داخل مناطقهم، ما يمنحهم قدرة استثنائية على التواصل المؤثر، وحشد الموارد المحلية، والوصول بكفاءة إلى الفئات الأكثر هشاشة وعرضة للمخاطر.

يُعد العمل التطوعي الرافد الأساسي لتمتين النسيج الاجتماعي وتعزيز روح التضامن، وهما الركيزتان اللتان ينهض عليهما صمود المجتمعات واستدامتها؛ إذ إن انخراط المجتمع في إدارة شؤونه يرفع منسوب الوعي بالمخاطر ويُعزز الجاهزية لمواجهتها. ومن هنا، يرسخ نهج "المجتمع بأكمله" حقيقة مفادها أن الصمود ليس مسؤولية جهة بعينها، بل هو ثمرة تكامل الأدوار بين المؤسسات الحكومية والقوى المجتمعية، لاستثمار الشبكات الاجتماعية والخبرات المحلية في منظومة استجابة موحدة وشاملة.[2]

على الرغم من اتساع آفاق العمل التطوعي، إلا أن استثمار طاقاته يظل مرهونا بتجاوز جملة من التحديات التنظيمية والهيكلية؛ حيث يضع التدفق العفوي للمتطوعين أنظمة الاستجابة أمام ضغوط تشغيلية تستوجب وجود آليات دقيقة للتسجيل وتوزيع المهام، تلافيا لإرباك العمليات الميدانية أو تعريض المتطوعين غير المدربين لمخاطر السلامة. كما تشكل تعقيدات المسؤولية القانونية وحماية المتطوعين وتأمينهم عائقا أمام دمجهم السلس ضمن الأطر الرسمية. وهو ما يفرض بالضرورة الانتقال نحو نماذج إدارة مرنة وشاملة، لا تكتفي بالاعتراف بأدوار المتطوعين بمختلف فئاتهم، وإنما تؤطر جهودهم ضمن منظومة تنسيق محكمة تضمن أمنهم وتحقق أقصى جدوى من عطائهم.

حقوق الصورة@امفنت

[1] A review of informal volunteerism in emergencies and disasters: Definition, opportunities, and challenges
J Whittaker, B McLennan, J Handmer. International Journal of Disaster Risk Reduction 13 (2015) 358–368
[2] AA Whole Community Approach to Emergency Management: Principles, Themes and Pathways for Action, FDOC 104-008-1 / December 2011

الشباب كمحرّكين للابتكار في الاستجابة الصحية الإنسانية: منظور صندوق الأمم المتحدة للسكان من فلسطين

بقلم: السيدة أماني أبو القمبز، مسؤولة برامج اليافعين والشباب – غزة، صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA) فلسطين

حقوق الصورة@امفنت

تتجاوز التجربة الفلسطينية مع صندوق الأمم المتحدة للسكان (2024–2025) الصورة النمطية التي تحصر الشباب في خانة "المتلقين السلبيين" للمساعدات إبان الأزمات الممتدة، لتقدمهم كشركاء فاعلين في صياغة الحلول الميدانية. ففي خضم تعقيدات النزاع والنزوح، برز اليافعون كقوة ابتكار مرنة استطاعت سد الفجوات الحرجة وضمان استدامة الخدمات الأساسية؛ سواء في مجالات الصحة الإنجابية، أو الدعم النفسي والاجتماعي، أو برامج الحماية من العنف المبني على النوع الاجتماعي، مبرهنين على قدرة استثنائية في الحفاظ على التماسك المؤسسي والصحي حتى في أشد الظروف قسوة.

وعوضا عن إبقاء الشباب في دوائر الاستجابة الهامشية، انتهج الصندوق مسارا مغايرا بجعلهم شركاء أصيلين ضمن رؤية حقوقية تراعي النوع الاجتماعي؛ لتتجلى ريادتهم في كافة مفاصل العمل، بدءا من التدخلات الميدانية المباشرة والتوعية المجتمعية، وصولا إلى الفضاءات الرقمية وصناعة القرار السياساتي. وقد أثبت هذا النموذج نجاعته الاستثنائية في غزة والمناطق الأكثر تقييدا في الضفة الغربية، حيث شكل الشباب صمام أمان في ظل إنهاك المنظومات الصحية الرسمية أو غيابها. فمن خلال تطويع "المساحات الآمنة" والمنصات الرقمية والفرق المتنقلة، نجح هؤلاء في سد الفجوة بين المعايير الدولية للصحة الجنسية والإنجابية وبين الاحتياجات المحلية، محولين إياها إلى استجابات واقعية تحظى بالموثوقية وتتواءم مع الخصوصية الثقافية للمجتمع.

من المشاركة إلى التمكين: نماذج يقودها الشباب على أرض الواقع

تُجسد المبادرة المشتركة بين امفنت وصندوق الأمم المتحدة للسكان نموذجا عمليا لقدرة القيادة الشبابية على إحداث فارق ملموس حتى في ذروة الأزمات وتذبذب البيئات التشغيلية. ففي الربع الأخير من عام 2025، تحول أكثر من 1,200 شاب وشابة من مجرد متطوعين إلى فاعلين ميدانيين قادوا تنفيذ ما يربو على 400 تدخل مجتمعي؛ تركزت في جوهرها على قضايا صحة الدورة الشهرية، والصحة الجنسية والإنجابية، والتثقيف الشامل. ولم تقف هذه الجهود عند حدود التنفيذ، بل امتد أثرها ليشمل أكثر من 11,000 مستفيد ومستفيدة من اليافعين والبالغين داخل مراكز الإيواء ومخيمات النزوح غير الرسمية والمساحات المجتمعية في غزة.

وقد تجاوزت هذه المبادرات حدود "نقل المعرفة" التقليدي إلى تهيئة فضاءات آمنة للحوار؛ نجحت في تفكيك الوصمة الاجتماعية المحيطة بصحة الدورة الشهرية والقضايا الحساسة، مع مكاملة الدعم النفسي والاجتماعي ضمن الرسائل الصحية الأساسية. وقد تجلّت مرونة هذا النموذج في قدرته الفائقة على تطويع أدواته الميدانية لتلائم قسوة النزوح واكتظاظ الملاجئ وتفاقم مخاطر الحماية. وانعكس هذا الأثر الميداني في مؤشرات وصول قياسية خلال عام 2025؛ إذ احتضنت المراكز المتخصصة التابعة للصندوق 20,795 شابا وشابة، فيما وفرت المساحات الآمنة ملاذا توعويا لنحو 9,710 من الفتيات، وامتدت المظلة الصحية لتشمل 6,217 طالبا وطالبة عبر العيادات الصديقة للشباب في الحرم الجامعي.

تتجلى القوة الدافعة للمبادرات الصحية الشبابية في قدرتها الاستثنائية على "التكيف الواعي"؛ إذ يمتلك الميسرون الشباب ميزة نوعية تتجاوز التدريب الفني إلى الفهم العميق للحساسيات الثقافية والمعايير الاجتماعية السائدة. هذا "القرب المعرفي" يمنحهم مشروعية وثقة لفتح ملفات بالغة الحساسية كالموافقة، والاستقلالية الجسدية، وأدوار النوع الاجتماعي بأسلوب يكسر حواجز الصمت دون التصادم مع الخصوصية المحلية. وتؤكد تجربة صندوق الأمم المتحدة للسكان أن "تثقيف الأقران" ليس مجرد وسيلة لنشر المعرفة، بل هو محرك استراتيجي لرفع معدلات المشاركة وتعميق الأثر المعرفي؛ حيث ينجح المتطوعون الشباب في مد جسور الثقة مع الفئات الأكثر تهميشا، وخصوصا الفتيات اللواتي يقعن غالبا خارج نطاق الرعاية الرسمية، مما يسهم في دمجهن ضمن منظومة الإحالة والخدمات الصحية بفاعلية غير مسبوقة.

الدور التحفيزي لمبادرات Y-PEER

ضمن الرؤية الاستراتيجية لإشراك الشباب التي يتبناها صندوق الأمم المتحدة للسكان، برزت مبادرة "Y-PEER" كمحركٍ محوري لتحويل القيادات الشبابية إلى أثرٍ ميداني ملموس، خاصة في ملفات الصحة الجنسية والإنجابية والحماية من العنف القائم على النوع الاجتماعي. وفي السياق الفلسطيني المعقد، نجحت المبادرة في صياغة نموذج هجين يربط البرامج الرسمية للصندوق بجهود التعبئة على مستوى القاعدة؛ ما ضمن استدامة الرسائل الحقوقية والمعايير النوعية رغم قيود الحركة ووطأة النزوح. ومن خلال التغلغل في الجامعات والمساحات المجتمعية، استطاع ميسرو "Y-PEER" كسر عزلة المناطق صعبة الوصول، ومد مظلة التثقيف الشامل لليافعين والشباب هناك؛ حيث أثبت نهج الأقران فاعلية استثنائية في طرح القضايا الأكثر حساسية، كالموافقة والاستقلالية الجسدية وصحة الدورة الشهرية، بأسلوب يزاوج بين الجرأة المعرفية والقبول المجتمعي.

ومن منظور الاستدامة الاستراتيجية، تتجاوز مبادرات "Y-PEER" كونها أنشطة مرحلية لتصبح منصةً لتوحيد معايير الجودة وتجذير سياسات الحماية، عبر مناهج تتوائم بدقة مع رؤية الصندوق. وتتجلى عبقرية هذا النموذج في صياغة مسارات قيادية تصاعدية؛ تبدأ من جذور العمل التطوعي وتتبلور في أدوار تنسيقية ومساحات للتعلم المتبادل عبر الشبكات الوطنية والإقليمية. وبالتوازي مع الركائز المؤسسية - كمراكز الشباب، والخدمات الصحية الصديقة للشباب، واللجنة الاستشارية الشبابية - تضمن هذه المبادرات الحفاظ على الزخم المجتمعي، مع دمج مشاركة الشباب بشكل عضوي ضمن الأنظمة القائمة. وتبرهن تجربة الصندوق على أن مأسسة "Y-PEER" ضمن الأطر الإنسانية والوطنية، ورفدها بالموارد اللازمة، لا يقتصر أثره على نقل المعرفة فحسب، وإنما يمتد ليصبح قوة ناعمة قادرة على إعادة تشكيل القيم المجتمعية وابتكار حلول محلية مستدامة تنبع من صلب الاحتياج.

تحديات الاستدامة لما بعد التعبئة قصيرة الأمد

على الرغم من الفاعلية المشهودة للمبادرات الشبابية، إلا أن استدامتها تظل رهينة لتحديات بنيوية تفرضها طبيعة التدخلات الإنسانية؛ إذ تبرز تجربة البرامج المدعومة من صندوق الأمم المتحدة للسكان ثلاث عقبات متكررة تحول دون مأسسة هذا الجهد. أولاها، ارتهان هذه المبادرات بدورات تمويلية قصيرة الأجل تلهث خلف النتائج الآنية، ما يحرم المشاريع من الاستقرار اللازم للتحول إلى كيانات مؤسسية مستدامة. وثانيتها، الاستنزاف النفسي والاقتصادي الذي يواجهه المتطوعون في قلب الأزمات؛ حيث يؤدي غياب شبكات الدعم النفسي والحوافز المادية ومسارات التطور المهني إلى احتراق وظيفي يهدد استمرارية الكوادر الشابة. أما الثالثة، فتتمثل في فجوات التنسيق البيني لدى الجهات الإنسانية، والتي تعيق دمج الحراك الشبابي ضمن الأنظمة الوطنية وخطط التعافي الشاملة، ما يبقي هذه المبادرات في جزر معزولة عن المسار الرسمي للدولة.

واستجابة لهذه المعطيات، أحدث صندوق الأمم المتحدة للسكان تحولا جذريا في فلسفته التشغيلية؛ بانتقاله من "المشاركة الموسمية" إلى بناء منظومات مؤسسية عابرة للأزمات، تصهر تقديم الخدمات وبناء القدرات وأطر الحوكمة في بوتقة واحدة. وتتجلى حيوية هذا المسار في مأسسة مراكز الشباب، والعيادات الجامعية الصديقة، والمنصات الرقمية الرائدة مثل شبّاك الشباب وتطبيق مستشاري؛ حيث لم تعد هذه المبادرات جزرا معزولة، بل غدت ركائز أصيلة ضمن هياكل خدمية أوسع، تفتح أمام الشباب آفاق الإسهام الفاعل، وتكفل في آن واحد تأطير جهودهم ضمن منظومة محكمة من الإشراف المهني، وسياسات الحماية الصارمة، وأنظمة الإحالة المتكاملة.

ما الذي يمكّن الأثر طويل الأمد

تتكشف ملامح استدامة المبادرات الشبابية عبر برامج صندوق الأمم المتحدة للسكان من خلال ثلاثة مرتكزات أساسية؛ يأتي في طليعتها الترسيخ المؤسسي؛ إذ تغدو فرص الديمومة أكثر واقعية حين تنصهر المبادرات ضمن بنىً تحتية قائمة - كالمرافق الصحية، والجامعات، والمساحات الآمنة، والهياكل الشبابية المعتمدة وطنيا. ويجسد الحراك الفاعل لأعضاء اللجنة الاستشارية الشبابية في عام 2025 نموذجا حيا لهذا المسار؛ حيث تجاوز دورهم حدود المشاركة التقليدية ليصبحوا طرفا أصيلا في حوارات السياسات مع الشركاء الحكوميين والجهات المانحة، ما كفل إدماج تطلعات الشباب في صلب استراتيجيات صحة اليافعين ومنظومات التخطيط الإنساني.

أما المرتكز الثاني فيتمثل في التكامل البنيوي؛ إذ تستمد مبادرات الصندوق فاعليتها من الربط العضوي بين مجالات الصحة الجنسية والإنجابية، والتثقيف الشامل، ومنظومات الدعم النفسي والاجتماعي، والحماية من العنف القائم على النوع الاجتماعي. هذا التماسك يجسد الفهم العميق للترابط القائم بين مؤشرات الصحة ومعايير الحماية والرفاه النفسي، خاصة في أوساط اليافعين النازحين والشابات. وفي سياق مواز، تبرز المبادرات الشبابية في قضايا الذكورة الإيجابية والسلامة الرقمية وتقاسم أدوار الرعاية، بوصفها أدوات استراتيجية لمعالجة المحددات الاجتماعية الكامنة؛ مما يسهم في تفكيك الجذور المسببة لضعف المخرجات الصحية وتحويلها إلى بيئة محفزة للسلامة والرفاه.

أما المرتكز الثالث فيتجلى في الاستثمار المستدام في رفاه الشباب ومساراتهم القيادية؛ إذ تعد جهود بناء القدرات المستمرة، والإشراف المهني، والدعم النفسي والاجتماعي، ركائز أساسية للحد من الإرهاق وضمان ديمومة المشاركة. ويشكل توفير مسارات واضحة للتطور المهني عنصرا جوهريا في هذا السياق، يكفل استمرار انخراط الشباب على المدى الطويل.

الشباب كأصل استراتيجي للتعافي

تؤكد تجربة صندوق الأمم المتحدة للسكان في فلسطين أن المبادرات الصحية بقيادة الشباب تتجاوز كونها حلولا مؤقتة لسد فجوات الاستجابة الإنسانية، بل تتعداه لكونها ركيزة استراتيجية في تعزيز الصمود ودعم مسارات التعافي. فحين يرتكز الشباب إلى دعم كاف، يتحولون إلى حلقة وصل حيوية بين المجتمعات والخدمات، ويجسدون المبادئ الحقوقية في ممارسات ملموسة، مبرهنين على قدرة استثنائية في ابتكار نماذج تقديم الخدمات حتى في أكثر الظروف تعقيدا.

يتطلب الحفاظ على هذا الأثر إحداث تحول جوهري في النظرة إلى الشباب؛ بتجاوز اعتبارهم عناصر تنفيذ ضمن مشاريع محدودة، وإقرار دورهم كشركاء استراتيجيين يسهمون بفاعلية في إعادة بناء الأنظمة على المدى الطويل. ومع تزايد تداخل السياقات الإنسانية مع الأزمات الممتدة والصدمات المناخية والتفكك الاجتماعي، لم يعد التساؤل يتمحور حول قدرة الشباب على الابتكار، بقدر ما بات يتعلق بمدى جاهزية المؤسسات للاستثمار في الظروف الكفيلة باستدامة حلولهم. وتخلص تجربة الصندوق إلى حقيقة جلية؛ فحين يمنح الشباب الثقة والحماية ومساحات المشاركة الفاعلة، يتجاوز دورهم حدود المساهمة في الاستجابة الصحية، ليعيدوا تشكيل ملامحها بالكامل.

قصة نجاح: التثقيف الصحي بقيادة الشباب كاستراتيجية لتعزيز صمود المجتمع في غزة

بقلم: السيدة نسمة صيام، مسؤولة التغيير الاجتماعي والسلوكي، اليونيسف

يجسد محمود، ابن التسعة عشر ربيعا من خان يونس، نموذجا حيا لإرادة الشباب في قطاع غزة؛ حيث أعادت ظروف النزوح وتهالك البنية التحتية وضغط الخدمات صياغة تفاصيل حياته اليومية بعمق. ومع ذلك، لا يقف محمود في صفوف الانتظار كل صباح، بل يرتدي سترته التطوعية، شأنه شأن العديد من الكوادر الشبابية الفاعلة، وينطلق مروجا للصحة في قلب مجتمعه. إن الشباب في غزة، على غرار محمود، يتجاوزون دور متلقي المساعدات ليكونوا مستجيبين ومبتكرين ومحفزين لمجتمعاتهم؛ إذ أثبتت ريادتهم في التثقيف الصحي أنها ضرورة ملحة في ظل الأزمة الراهنة، وركيزة أساسية لبناء صمود مجتمعي بعيد المدى.

الشباب كمستجيبين أوائل ومروّجين للصحة

يتغلغل اليافعون والمتطوعون الشباب في مراكز الإيواء، والتجمعات السكانية غير الرسمية، والأحياء المتضررة، ليسهموا بفاعلية في دعم التدخلات الصحية المنقذة للحياة. ومن خلال نهج التثقيف بالأقران، يضطلع هؤلاء بنقل رسائل حيوية تشمل التحصين الروتيني، والوقاية من الأمراض، ومعايير التغذية وممارسات النظافة، وصولاً إلى الحد من تفشي الأوبئة؛ محولين بذلك المعرفة الصحية إلى ممارسات مجتمعية تحمي الأرواح في أكثر المناطق هشاشة.

تنفرد المبادرات الشبابية بقدرة فائقة على النفاذ إلى فضاءات قد تعجز الرسائل الرسمية عن بلوغها؛ إذ يتحدث الشباب - على غرار محمود - لغة أقرانهم، ويستوعبون بعمق هواجس مجتمعاتهم المحلية وما يكتنفها من معلومات مغلوطة وديناميات معقدة. وقد تجلت هذه الفاعلية في حملات التحصين، حيث تولى محمود وزملاؤه في فرق الحشد المجتمعي مهمات حيوية؛ شملت حصر الأطفال الذين فاتهم اللقاح، وتفنيد مخاوف أولياء الأمور، وإرشاد الأسر إلى مراكز التطعيم؛ وهو ما أثمر تعزيزا لمنظومة الثقة المجتمعية وتقليصا لمعدلات التردد تجاه اللقاحات.

الابتكار في بيئات مقيّدة

تواجه المبادرات الصحية الشبابية في قطاع غزة تحدياتٍ جمة تعيق استدامتها؛ إذ تلقي قيود الحركة وانعدام الأمن وتعطل التعليم والضغوط النفسية بظلالها الكثيفة فوق قدرة اليافعين، وتحد من استمرارية مشاركتهم. وتزداد هذه المعوقات حدة حين تركز دورات التمويل على مخرجات طارئة قصيرة الأمد، بدلا من الاستثمار الأصيل في بناء قدرات الشباب؛ ما يضع إشراكهم ضمن خانة النشاط التكميلي، ويحرمه من مكانته الأصيلة في صلب استراتيجيات الصحة العامة.

ومع ذلك، أظهر الشباب قدرة لافتة على التكيف؛ إذ غالبا ما يقدم محمود جلسات توعوية في مساحات غير تقليدية، كزوايا الشوارع، والساحات المفتوحة، ومراكز الإيواء، وحتى بالقرب من نقاط شحن الهواتف حيث يتجمع الناس. ويعمل الميسرون الشباب على مواءمة رسائلهم مع واقعهم اليومي عبر دمج نقاشات الصحة النفسية ضمن حملات التوعية بالنظافة، واستثمار الأدوات الرقمية البسيطة ومنصات التواصل الاجتماعي لتوسيع نطاق الأثر الصحي. وفي سياقات عدة، تتسع هذه الحوارات لتتجاوز الشأن الصحي البحت، وتشمل المشاركة المجتمعية، وحملات النظافة البيئية، ومبادرات الدعم المتبادل بين الأقران.

وتُقدم هذه الممارسات درسا ثريا؛ يتجاوز فيه الشباب دور منفذي الأنشطة التقليدية والمحددة لهم مسبقا، ليكونوا شركاء أصيلين في ابتكار الحلول. وحين تتوفر لهم الأطر المنظمة، والتدريب الملائم، والمساحات الآمنة للمشاركة، يطرحون مقاربات واقعية ومتجذرة ثقافيا في تعزيز الصحة، تنبع من صلب احتياجات مجتمعاتهم.

من المشاركة إلى القيادة

نال محمود وزملاؤه من الميسرين تدريبا أساسيا من اليونيسف، شمل مهارات التواصل، ورسم خرائط المجتمع، ومبادئ الصحة العامة الأساسية؛ بيد أن تعظيم أثر المبادرات الشبابية في تعزيز صمود المجتمعات يقتضي الانتقال من المشاركة الرمزية إلى التمكين الحقيقي. ويتطلب هذا المسار بناء قدرات منهجي، وإشرافا داعما، وإتاحة فرص جادة لاتخاذ القرار، بما يضمن تحول دور الشباب من التنفيذ إلى القيادة الفاعلة.

أثمرت هذه التدريبات تعزيزا ملموسا لكفاءة الميسرين وثقتهم بأنفسهم، فيما يكفل تشكيل شبكات شبابية مرتبطة بتدخلات الصحة والمياه والصرف الصحي والنظافة (WASH) استدامة الجهود وتجاوز سياق الحملات الفردية المنقطعة. ويؤدي إشراك اليافعين في عمليات التقييم - عبر مناقشات مجموعات التركيز وآليات التغذية الراجعة المجتمعية – دورا حيويا في صون مواءمة البرامج مع واقع المجتمعات وتلبية احتياجاتها الفعلية.

ويكتسب دعم الصحة النفسية والاجتماعية للمتطوعين الشباب أهمية قصوى؛ إذ يتأثر هؤلاء العاملون في بيئات الأزمات بتجارب الصدمة والفقد ذاتها التي يعالجها مجتمعهم. وتعد العناية برفاههم النفسي شرطا أساسيا لضمان استدامة مشاركتهم وتعظيم أثرهم؛ فبدون هذا الدعم المؤسسي، يغدو الحفاظ على ريادتهم الميدانية وقدرتهم على العطاء الإنساني المتواصل أمرا بعيد المنال.

عوامل أساسية لتحقيق أثر طويل الأمد

- **الدمج المؤسسي:** ينبغي إدماج إشراك الشباب ضمن استراتيجيات الصحة، والمياه والصرف الصحي والنظافة (WASH)، وصمود المجتمعات، بدل التعامل معه كنشاط جانبي.
- **تعزيز القدرات:** يضمن التدريب المستمر، والإرشاد، والإشراف الحفاظ على الجودة وتعزيز المساءلة.
- **الملكية المحلية:** تكون المبادرات أكثر استدامة عندما تنطلق من هياكل مجتمعية قائمة وتحظى بدعم الفاعلين المحليين.
- **تمويل مرن:** يتيح اعتماد برامج مرنة قدرة المبادرات الشبابية على التكيّف مع السياقات سريعة التغير.
- **الدعم النفسي والاجتماعي:** يعزز الحفاظ على رفاه الشباب من استمرارية الأثر ويضمن ديمومته.

الشباب كركيزة لتعاف قائم على الصمود

يتجلى الصمود في مواجهة الأزمات الممتدة في كونه مسارا يتجاوز حدود إعمار البنية التحتية ليرتكز أصلا على بناء الإنسان؛ وفي هذا السياق، يبرز الشباب في قطاع غزة كطاقة الاستجابة الراهنة، والركيزة القيادية التي سيقوم عليها مستقبل النظام الصحي.

يتجاوز الاستثمار في التثقيف الصحي بقيادة الشباب - كما تجسده تجربة محمود - حدود المبادرة الرمزية، ليمثل تدخلا استراتيجيا أصيلا في منظومة الصحة العامة. ويحقق هذا التوجه عوائد ملموسة؛ إذ يسهم في ترسيخ الثقة المجتمعية، وتطوير آليات التواصل حول المخاطر، ودعم السلوكيات الوقائية، فضلا عن إعداد جيل يمتلك ناصية القيادة ومهارات التواصل وروح المسؤولية تجاه مجتمعه.

يقتضي توجه قطاع غزة نحو التعافي وإعادة الإعمار استبقاء الشباب - أمثال محمود - في صدارة استراتيجيات التثقيف الصحي ومنظومات تعزيز الصمود المجتمعي؛ إذ يمتلك الشباب الممكنون والمدربون والمدعومون قدرة استثنائية على تحويل الاستجابة الطارئة إلى مسار مستدام، يفضي إلى بناء مجتمعات أكثر تماسكا وقدرة على مواجهة الأزمات.

على أرض الواقع:
أصوات من متطوعينا

حقوق الصورة@امفنت

حقوق الصورة@امفنت

”في قلب النزاع وبين ركام الظروف القاسية، تجاوز تطوعي في التثقيف الصحي حدود العمل الميداني، ليتحول إلى رحلة أعدت فيها اكتشاف المعنى الحقيقي للإنسانية. بدأت مسيرتي مع امفنت قائدة لفريق صحة المرأة، حيث أدرنا أنشطة تثقيفية شبابية، وعقدنا جلسات تفاعلية مع النازحين في المخيمات ومراكز الإيواء طيلة أشهر الأزمة. ورغم وطأة النزوح وانعدام الأمن، آلينا على أنفسنا الوصول إلى الناس أينما كانوا؛ لنناقش معهم قضايا ملحة وحساسة، بدءا من الوقاية من الأمراض المعدية وانخفاض حرارة الجسم، وصولا إلى إدارة الصحة الشهرية والدعم النفسي. إن هذه التجربة صقلت مهاراتي في القيادة والعمل تحت الضغط، بقدر ما عمقت إحساسي بالمسؤولية والتعاطف تجاه الفئات الأكثر هشاشة في مجتمعي“

د. زينة القدوة، متطوعة شابة في امفنت

حقوق الصورة@امفنت

”في قلب النزاع وبين ركام الظروف القاسية، تجاوز تطوعي في التثقيف الصحي حدود العمل الميداني، ليتحول إلى رحلة أعدت فيها اكتشاف المعنى الحقيقي للإنسانية. بدأت مسيرتي مع امفنت قائدة لفريق صحة المرأة، حيث أدرنا أنشطة تثقيفية شبابية، وعقدنا جلسات تفاعلية مع النازحين في المخيمات ومراكز الإيواء طيلة أشهر الأزمة. ورغم وطأة النزوح وانعدام الأمن، آلينا على أنفسنا الوصول إلى الناس أينما كانوا؛ لنناقش معهم قضايا ملحة وحساسة، بدءا من الوقاية من الأمراض المعدية وانخفاض حرارة الجسم، وصولا إلى إدارة الصحة الشهرية والدعم النفسي. إن هذه التجربة صقلت مهاراتي في القيادة والعمل تحت الضغط، بقدر ما عمقت إحساسي بالمسؤولية والتعاطف تجاه الفئات الأكثر هشاشة في مجتمعي“

د. سندس سكيك، متطوعة شابة في امفنت

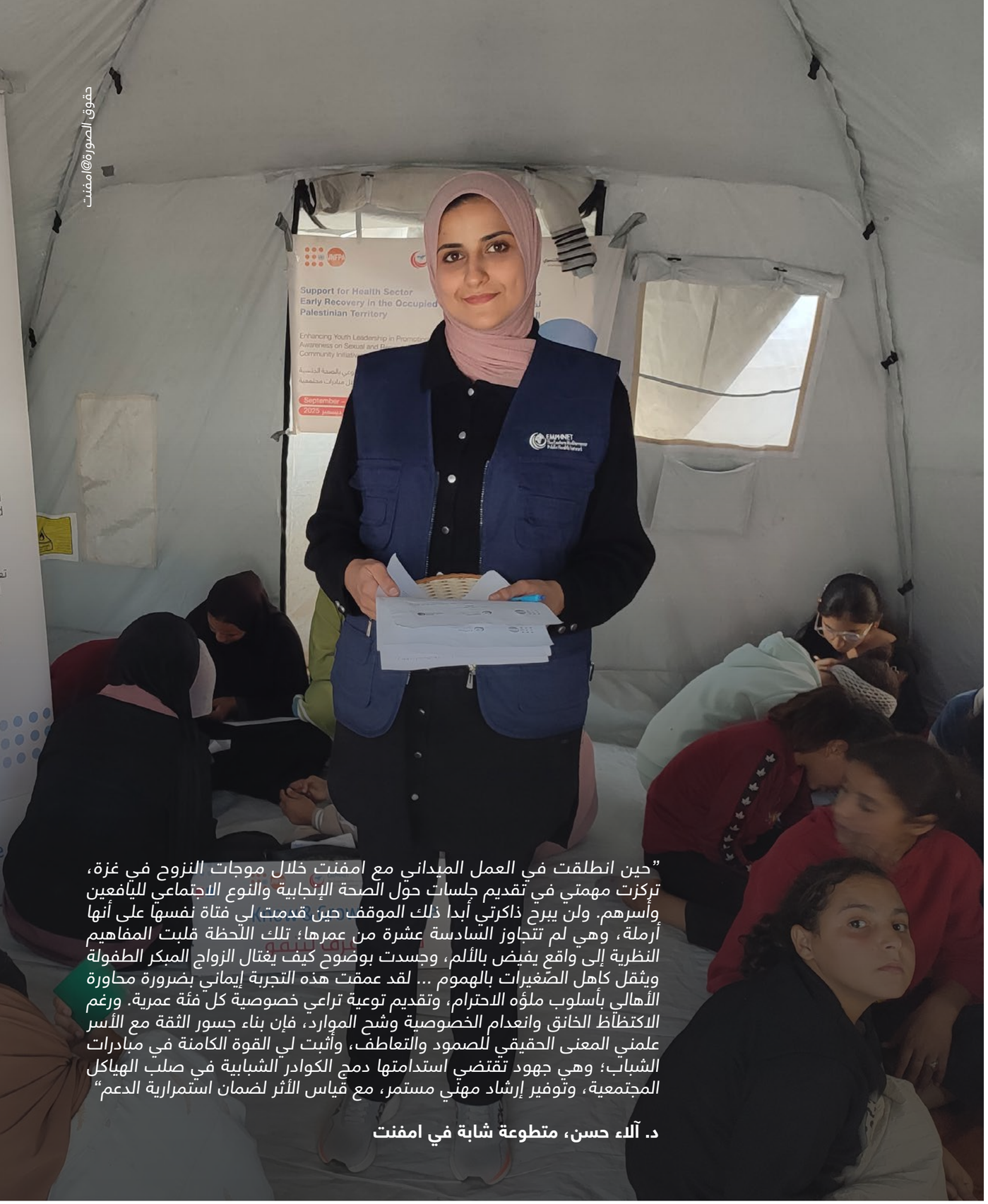

حقوق الصورة@امفنت

”حين انطلقت في العمل الميداني مع امفنت خلال موجات النزوح في غزة، تركزت مهمتي في تقديم جلسات حول الصحة الإنجابية والنوع الاجتماعي للیافعين وأسرهم. ولن يبرح ذاكرتي أبدا ذلك الموقف حين قدمت لي فتاة نفسها على أنها أرملة، وهي لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها؛ تلك اللحظة قلبت المفاهيم النظرية إلى واقع يفيض بالألم، وجسدت بوضوح كيف يغتال الزواج المبكر الطفولة ويثقل كاهل الصغيرات بالهموم ... لقد عمقت هذه التجربة إيماني بضرورة محاورة الأهالي بأسلوب ملؤه الاحترام، وتقديم توعية تراعي خصوصية كل فئة عمرية. ورغم الاكتظاظ الخانق وانعدام الخصوصية وشح الموارد، فإن بناء جسور الثقة مع الأسر علمني المعنى الحقيقي للصمود والتعاطف، وأثبت لي القوة الكامنة في مبادرات الشباب؛ وهي جهود تقتضي استدامتها دمج الكوادر الشبابية في صلب الهياكل المجتمعية، وتوفير إرشاد مهني مستمر، مع قياس الأثر لضمان استمرارية الدعم“

د. آلاء حسن، متطوعة شابة في امفنت

”في غزة، حيث يلقي الحصار وشح الموارد بثقلهما على أدق تفاصيل الحياة، نذرت جهدي متطوعة مع امفنت؛ لإدارة حملات وورش تفاعلية تمكن الأقران من استيعاب حقوقهم الصحية وحماية أنفسهم. ورغم عظم التحديات وضيق ذات اليد، أيقنت أن الإبداع الممزوج بالعمل الجماعي كفيل بتذليل أقسى العوائق. لقد كانت أنشطةٌ تبدو بسيطة - كحوارات الصحة النفسية أو مبادئ الإسعافات الأولية - كافية لبعث روح الصمود وبث الثقة والأمل؛ وهي تجربةٌ غرسَت أثراً عميقاً في مجتمعي، بقدر ما أعادت صياغة ذاتي وقدراتي“

د. دنيا الغول، متطوعة شابة في امفنت

حقوق الصورة@امفنت

حقوق الصورة@امفنت

"من غزة، حيث يمتزج العيش بالصمود وتستحيل أبسط التفاصيل تحديا يوميا، أدركت أن الطب أرحب من جدران المستشفيات، وأن الصحة وعي يبنى وأمل يغرس قبل أن تكون وصفة دوائية. وفي وقت علت فيه أصوات الحرب فوق كل شيء، اخترنا نحن الشباب أن نصدح بصوت مختلف؛ فمنذ عام ونصف، نذرت نفسي طبيبة متطوعة مع امفنت، وانخرطت بعمق في مبادرات التثقيف الشبابي، في تجربة صاغت شخصيتي بقدر ما أثرت في الآخرين. عملنا في ظروف قاسية؛ من شح الموارد والنزوح المتكرر إلى القلق والمخاطر التي تحيط بنا، ومع ذلك، تسلحنا بما لا ينفد: يقيننا بأن وجودنا يصنع فارقا حقيقيا في حياة الناس"

د. إسراء شمالي، متطوعة شابة في امفنت

"أضافت تجربتي في التثقيف الصحي بعدا استثنائيا لمساري المهني كطبيبة؛ إذ مكنتني من ربط المعرفة العلمية بالاحتياجات الفعلية لمجتمعي، وبسطت من خلالها المعلومات الطبية بأسلوب عملي ميسر. لقد منحني الجمع بين الدورين قدرة أكبر على التواصل الفعال وبناء الثقة، وضمان وصول الرسائل التوعوية إلى الفئات الأكثر احتياجا، خاصة اليافعين والنساء والأمهات الحوامل والمرضعات ... وأيقنت عبر هذا العمل الميداني أن المعرفة الطبية وحدها لا تكتمل دون مهارة إيصالها؛ فطريقة العرض تضاهي المحتوى قيمة وأثرا. كما صقل التفاعل المباشر مع الناس مهاراتي في الاستماع، وأتاح لي تكييف المعلومات لتلائم مستويات الوعي المتباينة. إن هذه التجربة طورت مهاراتي المهنية، بقدر ما رسخت التزامي بالمبادرات الصحية الشبابية التي تضع المجتمع في قلب اهتمامها"

د. لينا أبو الخير، متطوعة شابة في امفنت

حقوق الصورة@امفنت

"شهدت عن قرب، من موقعي في الإشراف على فرق التثقيف الصحي في غزة، الأثر التحولي للمبادرات الشبابية؛ إذ نهض هؤلاء المتطوعون بدور محوري في تقديم جلسات التوعية حول التحصين، والنظافة، والوقاية من الأمراض المعدية وانخفاض حرارة الجسم، متنقلين بين الملاجئ والمدارس والمستشفيات الميدانية. ورغم العمل في بيئة قوامها النزوح وشح الموارد، أثبت الشباب قدرة فائقة على التكيف والتواصل المجتمعي الفعال ... لقد واجهنا تحديات جسيمة، كالمعلومات المضللة والعوائق اللوجستية، عبر تعزيز الحوار بين الأقران، والتنسيق الوثيق مع الشركاء الصحيين، ومواءمة الرسائل مع الواقع الثقافي والميداني. وكان الثمر جليا؛ فقد توازى رفع مستوى الوعي المجتمعي وزيادة الإقبال على الخدمات، مع تنامي ثقة الشباب بأنفسهم وترسيخ روح القيادة في نفوسهم"

د. زهير عساف، متطوع شاب في امفنت

"انخرطت كصيدلانية متطوعة في إحدى النقاط الطبية التابعة لامفنت إبان الحرب، للمساهمة في أنشطة التوعية الصحية والتغذوية. واجهت في ميادين العمل تحديات جسيمة؛ فخروجي اليومي لأداء الواجب كان يعني مواجهة خطر حقيقي في ظل القصف العشوائي والنزوح المتكرر، وفقدان الأهل والأحبة. ورغم التردد والخوف اللذين رافقاني أحيانا، كنت أعود دائما بدافع من المسؤولية الإنسانية والمهنية؛ إذ ننجز مهامنا تحت ضغط هائل وبموارد شحيحة للغاية، ولم تكن الحالات التي نتابعها مجرد أرقام، بل وجوها تحمل قصصا وقلوبا مثقلة ... لقد عمقت هذه التجربة إيماني بضرورة تمكين الشباب ودعم مبادراتهم، لقدرتهم الاستثنائية على إحداث أثرٍ ملموس في مجتمعاتهم، خاصة في أوقات الأزمات. وأسعى اليوم لمواصلة الوصول إلى الفئات الأكثر احتياجا، وبذل الدعم والتوعية، مساهمة في بناء استجابة مجتمعية أكثر وعيا وصمودا"

د. نانسي مدوخ، متطوعة شابة في امفنت

إحصائيات وأرقام

يتجاوز اضطراب العالم المعاصر حدود الأزمات العارضة - من كوارث ونزاعات - ليستقر واقعا ممتدا في إقليم شرق المتوسط وخارجه، ملقيا بظلاله الثقيلة على النظم الصحية والفئات الأكثر هشاشة. وتكشف الأرقام التالية حجم هذه التحديات، بقدر ما تؤكد الدور الكبير للمنظمات غير الحكومية في التصدي لها وإدارة استجابتها:

قطاع غزة

72,135
وفاة حتى 11 مارس 2026

171,830
إصابة حتى 11 مارس 2026

589
وفاة بين العاملين في المجال الإنساني حتى 11 مارس 2026

+3,000
طفل (بعمر 6–59 شهرا) أدخلوا لتلقي علاج سوء التغذية في فبراير، مقارنة بـ +4,400 في يناير 2026

37,000
امرأة حامل ومرضعة معرضة للإصابة بسوء التغذية الحاد ويحتجن إلى علاج خلال عام 2026

31
فريقا طبيا للطوارئ يعمل حاليا، يضم 270 من الكوادر الوطنية و98 من الكوادر الدولية حتى 11 مارس 2026

77%
من أصل 2.076 مليون شخص في محافظات شمال غزة وغزة ودير البلح وخان يونس يواجهون أو من المتوقع أن يواجهوا مستويات أزمة أو أسوأ من انعدام الأمن الغذائي الحاد (المرحلة الثالثة أو أعلى) بين 1 ديسمبر 2025 و15 أبريل 2026

~900,000
شخص تقريبا بحاجة إلى مواد إيواء طارئة حتى فبراير 2026

السودان

33.7 مليون
شخص بحاجة إلى مساعدات إنسانية وفق خطة الاحتياجات والاستجابة الإنسانية لعام 2026

37%
من المرافق الصحية خارج الخدمة، ما يحرم شرائح واسعة من الوصول إلى الخدمات الأساسية

5
هجمات على الرعاية الصحية والعاملين والمرافق تم تسجيلها منذ يناير 2026

6
مرافق صحية تأثرت بهذه الهجمات خلال عام 2026

62 مليون
حالة وفاة و73 إصابة مسجلة نتيجة هذه الهجمات في 2026

9.1 مليون
شخص نزحوا، منهم 6.9 مليون منذ أبريل 2023 و2.2 مليون قبل ذلك

39
من أصل 80 دراسة منذ 2025 أظهرت معدلات مرتفعة جدا من سوء التغذية الحاد (>15%) متجاوزة عتبة الطوارئ لمنظمة الصحة العالمية

4.2 مليون
طفل دون الخامسة، إلى جانب النساء الحوامل والمرضعات، بحاجة إلى علاج من سوء التغذية الحاد خلال 2026

تحديثات من الأكاديمية الدولية للصحة المجتمعية (أياف)

طبّق أدوات الصحة العامة بفعالية في حالات الطوارئ والسياقات المعقدة.

تقدم الأكاديمية الدولية للصحة المجتمعية (أياف) مساقا تدريبيا ذاتي التعلم، يركز على استخدام أدوات وتقنيات عملية قائمة على الأدلة لدعم اتخاذ القرار والتخطيط والاستجابة في حالات الكوارث والظروف المعقدة. تم تصميم هذا المساق للعاملين في الصحة العامة والمستجيبين في السياقات الطارئة والإنسانية والهشة.

سجّل الآن وابدأ التعلم!

المراجع

- https://www.ochaopt.org/content/reported-impact-snapshot-gaza-strip-11-march-2026
- https://reliefweb.int/report/sudan/sudan-key-facts-and-figures-february-2026